ونحن نجهل من الذي استطاع أن يحصل على فحوى هذا الحديث الخاص الذي جرى بين القيصر وبين هذا الراهب المتفرد ، ولكن الامير كوربسكي اكثر رجال الحاشية ثرثرة وثقافة اخذ علما بها . ويروي أن القيصر سأل الراهب الشيخ : « كيف اتصرف من اجل ان الجم النبلاء » فأجاب فاسيان بحسب رواية كوربسكي : « لا تبحث عن مستشارين أكثر حكمة منك . حافظ على هذه القاعدة بأن تكون انت المعلم لا ان تتلقى العلم من الآخرين . كن قائداً ومطاعاً فتكون راسخاً فوق عرشك وتمسك بكل شيء بين يديك » . ويضيفون أن ايفان قبل يدي الراهب وأجاب : « لو أن ابي كان حيا لما نصحني بخير من ذلك » .

على ان إيفان لم يستدع الراهب من عزلته ولا اعاده لمنصبه الديني ، كما ان فاسيان الذي كان على حافة قبره لم يطلب شيئاً منه . وقد افترض كوربسكي أن فاسيان الذي كان ضحية البويار كان يغذي في نفس إيفان انتقاماً منهم ويحرضه على أن يضع حد سيفه في رقابهم . ولكننا إذا أخذنا بعين الاعتبار سلوك إيفان عند عودته لوجدنا أن من العدل افتراض أن فاسيان إنما قدم لإيفان نصيحة مسيحية خالصة : « إجز خيرا بشر واجتذب شعبك إليك بمحبتك إياه » .

وهكذا مضى إيفان يحكم بدون عنف ولا قسوة كما كان يفعل منذ حريق موسكو وتوبته العامة عن خطايا الشعب . وكان لا بد ان يحدث تغير في هذا السلوك ولكن لم يكن أوانه قد آن بعد . فبعد رجوعه من الحج انكب على دراسة المشكلة التي كانت تتطلب قراراً منذ أن كان يعاني من آلام الحمى وهذه المشكلة هي تهدئة منطقة قازان . وكانت قد هزمت حملة تأديبية برئاسة بوريس سولتيكوف الذي أصبح أسيراً عند القبائل . ثم أرسل دانيال أرد تشيف أخو الكسي الى مناطق العمليات بمساعدة القوزاق فألحق بالعدو بعض الخسائر ولكن ما كان تحت إمرته من قوات لم يكن كافياً . عند ذلك جهز القيصر جيشاً كبيراً عهد بقيادته الى ميكولنسكي وموروزوف وشيرمتييف وكوربسكي . وفي خلال شتاء ١٥٥٣ ـ ١٥٥٤ قام الروس بمهاجمة القبائل وقتلوا منهم الآلاف وسبوا